مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد ٢١ (٢)، ٢٠٠٧

الحاج أمين الحسيني بين العقائدية التقليدية والواقعية السياسية: دراسة حالة في النخبة السياسية الفلسطينية

Haj Amin Al-Hussieni between Traditional Dogmatism and Political Pragmatism: Case Study in the Palestinian Political Elites

ايمن يوسف

Ayman Yousef

قسم العلوم السياسية، الجامعة العربية الأمريكية، جنين، فلسطين

بريد الكتروني: *ayman_yousef@yahoo.com*

تاريخ التسليم: (١٢/ ٧/ ٢٠٠٦)، *تاريخ القبول*: (٨/ ٢/ ٢٠٠٧)

ملخص

يتطرق هذا البحث إلى موضوع النخبة السياسية الفلسطينية في فترة الانتداب البريطاني من خلال الرجوع إلى سيرة الحاج أمين الحسيني. يبدأ البحث باستعراض نظريات النخبة والصفوة بصورة عامة والنخبة في السياقين العربي والفلسطيني على وجه الخصوص. ثم ينتقل الباحث ليعرف العقائدية والواقعية السياسية ومكانة كل منهما في فكر الحاج أمين الحسيني وممارسته، خاصة في أوقات الأزمات وإدارة الصراع مع اليهود والإدارة البريطانية في فلسطين.

Abstract

This Research deals with an important and a crucial issue which of the Palestinian political elites during British Mandate 1920- 1947 by referring to bibliography of Haj Amin. This begins with defining and highlighting various theoretical paradigms that deal with the elites in general and the Arab and the Palestinian elites in particular. Then the research goes on deeply to analyze the meaning of dogmatism and political pragmatism and their place in the thoughts, practices and conflict management of Haj Amin during the times of crises with the Jews and the British Administration

مقدمة

هذا البحث عبارة عن دراسة في النخبة السياسية الفلسطينية في فترة الانتداب البريطاني وذلك من خلال الرجوع إلى الأحداث الهامة والمواقف الصعبة في سيرة الحاج أمين الحسيني. يعد الحاج أمين الحسيني من القيادات السياسية والرموز الدينية الفلسطينية التي عايشت أصعب مراحل القضية الفلسطينية وأكثرها دقة، حيث شهدت فلسطين خلال هذه الفترة الممتدة من ١٩٢٠ إلى ١٩٤٧ الانتداب البريطاني، وتمكنت الحركة الصهيونية من تنسيق خطواتها التهويدية لجغرافية وديموغرافية فلسطين بالتعاون الوثيق مع الإدارة البريطانية. لقد كان من خصائص الحركة الوطنية الفلسطينية في تلك المرحلة شيوع الأحزاب العربية المختلفة وظهور العديد من القيادات التي اعتمدت في نمط إدارتها للصراع مع البريطانيين واليهود على بنى وهياكل عائلية وعشائرية وتفسيرات دينية أو ميثولوجية.

سيقف هذا البحث على مجمل الأدبيات والدراسات والمصادر الأولية والثانوية التي عاينت وتفحصت قيادة الحاج أمين في أوقات السلم والحرب، وفي زمن الأزمات والإنفراجات السياسية. لن يكون هذا البحث مراجعة حرفية دقيقة وتسلسلاً تاريخياً للحركة الوطنية الفلسطينية في هذه الفترة، بقدر ما هو مراجعة للمواقف التي صدرت عن المفتي والتعقيب عليها نقديا بما يتفق مع عنوان البحث. وهل تتفق هذه المواقف والتصريحات مع البعد العقائدي في شخصية المفتي أم تتلائم أكثر مع واقعيته السياسية التي تجلت بوضوح مرارا وتكرارا ؟

مشكلة البحث

تكمن مشكلة هذا البحث في رصد العلاقة التوازنية بين البعد العقائدي، ولو بصورته التقليدية، والبعد البراجماتي الواقعي في شخصية الحاج أمين الحسيني، وكيف انعكس ذلك على فكره وممارسته السياسية في فترة شهدت فيها فلسطين أحداثاً ذات أبعاد محلية وإقليمية ودولية. تأخذ مشكلة البحث أبعاداً ومضامين مختلفة ومتنوعة، تقف على رأسها كيفية إدراك الحاج أمين لهذين البعدين في شخصيته السياسية، وكيف قام باستغلالهما بالشكل الأفضل والأمثل بخاصة في فترة شهدت فيها فلسطين التكالب الدولي عليها ممثلاً بالانتداب البريطاني والتغلغل الصهيوني. كما يلعب هذان البعدان دوراً محورياً في بروز قيادة الحج أمين على مستوى المنطقة العربية خاصة في المشرق العربي في ظل سياسة التقسيم والتفتيت والتقزيم التي قامت بها كل من بريطانيا وفرنسا من خلال سايكس-بيكو وسان ريمو. إضافة إلى محاولة استكشاف كيف أن الشخصية البراجماتيه الواقعية ذات الطابع الديني عززت من مكانة الحاج أمين وقيادته خاصة في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي في ظل نظام دولي شهد ولادة النازية والفاشية في أعقاب الحرب العالمية الأولي. وصفوة القول أن مشكلة البحث انصبت حول الواقعية السياسية والعقائدية التقليدية التي ساعدت الحاج أمين في تبوؤ دور قيادي في تعاطيه مع الأحداث المحلية والإقليمية والدولية المرتبطة بفلسطين في فترة تاريخية محددة.

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من خلال استعراض النقاط الآتية:

١. فهم معنى الواقعية السياسية والعقائدية ومضمونها في السياق الفلسطيني المعاصر لان المسرح السياسي الفلسطيني يشهد اليوم حالة من الاستقطاب الثنائي بين فتح وحماس، الأولى ينظر لها على أنها حركة براجمايتة بينما تقيم الثانية على أنها حركة أيديولوجية عقائدية.

٢. تعزيز الوعي والإدراك بإن الواقعية السياسية لا تعني التنازل عن الحقوق التاريخية الثابتة، وأن العقائدية لا تعني بأي حال من الأحوال الجمود والانغلاق وعدم التعامل مع الآخر، خاصة أن السيناريو الفلسطيني ما زال يمر بمرحلة التحرر الوطني، بعيدا عن لعبة المصالح التي تطغى على العلاقات الدولية المعاصرة.

٣. استذكار حرص القيادة الفلسطينية على تسجيل صفحات تاريخية بيضاء، فرفض الحاج أمين لقرار التقسيم في عام ١٩٤٧ يشابه لحد ما رفض ياسر عرفات مقترحات كلينتون في صيف عام ٢٠٠٠، حرصا من كليهما على أن يظهر أمام شعبه على انه متمسك بالحقوق الوطنية وحام لها.

٤. تسليط الأضواء ليس فقط على النخب والقيادات الفلسطينية، وإنما أيضا على الأحزاب والتنظيمات والقوى السياسية، وتصنيف هذه القوى والتنظيمات في خانتي الواقعية والعقائدية.

٥. معرفة الأدوار التي يمكن أن تقوم بها عامة الناس في السياق الفلسطيني، وفي الواقع العربي عموما ولا سيما، أن تركيز البحث ينصب على النخبوية والصفوة السياسية ودورها في قيادة دفة الحكم والسياسة. وليس هذا مهم فحسب لاستكشاف دور الشعوب في الخروج إلى الشارع والتمرد على الظلم والاحتلال، وانما أيضا في قدرتها لإحداث تغييرات داخلية تقود إلى الإصلاح الحقيقي والتنمية.

٦. الوقوف على طبيعة العلاقة التي تربط النخبة السياسية الفلسطينية مع الأحداث المتتالية على الصعيدين الإقليمي والدولي، وتحليل قدرتها لحماية المصالح الوطنية والقومية للشعب الفلسطيني في ظل عولمة السياسة والاقتصاد.

٧. التفحص والتعمق في فهم القدرات الكاريزماتية والشخصانية التي تمتلكها النخبة السياسية الفلسطينية في تحريك الشارع الفلسطيني وتجييره بشكل ذكي في سبيل تحقيق الهدف الأكبر وهو التحرير، ولمعرفة مدى تجاوب الشعب الفلسطيني لهذه الدعوات وقناعته بصدقيتها ومصداقيتها.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث التحقيق الأهداف الآتية:

١. التعرض بشيء من التحليل للمدارس النظرية النخبوية المتنوعة التي تناولت قضية النخبة والصفوة والوقوف على نقاط الالتقاء والاختلاف فيما بينها.

٢. معرفة العوامل والمتغيرات التي تصنع النخبة في السياقين العربي والفلسطيني من أجل التيقن من كيفية صناعة النخبة والأدوار المنوطة بها.

٣. تفحص سيرة الحاج أمين الحسيني بقدر كاف بالاعتماد على الموضوعية والحياد والعقلانية حتى يتم التعرف على أسباب وخفايا عملية صنع واتخاذ القرارات السياسية.

٤. استعراض العقائدية والواقعية السياسية في فكر المفتي وممارسته، ومدى توافقهما وتوازيهما في صنع واتخاذ القرارات السياسية.

٥. استعراض الأحداث التاريخية بعيدا عن السردية الرومانسية وبعيدا عن نظريات المؤامرة والتخوين، ومحاولة كشف الحقائق من خلال إسقاط أطر نظرية على مواقف تاريخية منتقاة.

٦. الربط بين النخبة السياسية تاريخيا والتقائها مع النخب الفلسطينية المعاصرة التي تقود العمل الوطني والنضالي الفلسطيني اليوم.

التأصيل النظري للنخبة

قبل تحليل وتشخيص أهمية الدور الذي تلعبه النخبة السياسية والقيادات الوطنية في عملية صنع القرار السياسي على المستويات الداخلية والخارجية، لا بد للباحث أولاً أن يقوم بتحديد معنى النخبة، من حيث طبيعتها وسماتها. وتحديد النخبة ومن هم الشخوص والأفراد المتوقع أن يكونوا أعضاء فاعلين في نخبة معينة؟ كيف تتم عملية تدوير النخبة وتبادل الأدوار؟ كيف تتفاعل داخل النخبة صراعات أو منافسات نخبوية لحماية المصالح والاحتفاظ بالأدوار في سبيل الوصول إلى السلطة؟ هناك عدة اتجاهات نظرية سلوكية اهتمت بموضوع النخب ودورها في المجتمعات التي تعيش فيها. هذه الاتجاهات تأخذ بعين الاعتبار علاقات القوة، توزيع الأدوار، الأرضيات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي خرجت من رحمها هذه النخب. لكن هناك شبه إجماع بين علماء الاجتماع والمتخصصين في النظم السياسية، أن دراسة النخب ينصب بالدرجة الأولى على علاقات القوة والنفوذ والسيطرة وأنها تتطلب معرفة طبيعة المساومات والمفاوضات التي تجري عادةً بين هذه النخب لاقتسام كعكة السلطة وحماية المصالح الشخصية[١].

(١) Harold Lasswell, Politics, Who Gets What, When, How (Cleveland, New York: Meridian Books, 1995)

عَزَتْ المدرسة الكلاسيكية (موسكا، باريتو، ميشلز) ظهور النخب إلى صفات موروثة وأخرى مكتسبة كالذكاء والدهاء والحنكة والأسلوب القيادي الكرزْماتي الإلهامي، أما المدرسة الحديثة فارتأت النظر إلى النخب في سياقات وظروف محلية وإقليمية ودولية، تنبع تحت ظروف ميدانية وموضوعية معينة في مجالات وحقول متنوعة تشمل السياسة والاقتصاد والاكاديميا والمؤسسات الدينية والعسكرية.

بحث موسكا في وضع النخبة (elite position) وعلاقات السلطة فيما بينهم power relations وخرج بنتيجة مفادها أن النخبة تمتلك قدرة التأثير بسبب ثروتها ومكانتها الدينية. لكن الفضل الأول من قوة وسيطرة النخبة يعود إلى ما لديها من قدرات تنظيمية كبيرة، ويرى موسكا أن صغر حجم الصفوة أو النخبة وبساطة وسائل الاتصال المتوفرة لديها يمنحانها هذه القدرة التنظيمية العالية[٢]. ويعتقد باريتو أن النخب الفاعلة ليست نتاج عوامل تنظيمية وقدرات إدارية تمارسها الصفوة داخل المؤسسات التي يديرونها، وإنما بسبب قدراتها وميزاتها النفسانية وصفاتها الإنسانية، وقدرتها العالية من حيث استخدام أساليب التأمل والتفكير والتخطيط والإقناع للمحافظة على وضعية معينة في المجتمع، مِثِلْ ميلها للابقاء على الوضع الراهن وإدامة حالة الاستقرار لان أي تغيير يمكن أن يفقدها منزلتها الرفيعة وامتيازاتها المصالحية. ومما يميز الأفكار التي طرحها باريتو أنه قسَّمَ النخبة إلى قسمين: الأولى، نخبة حاكمة تلعب دوراً سياسياً مباشراً في عملية الحكم، والثانية نخبة غير حاكمة وتضم في العادة أشخاصاً مرموقين في ميادين مختلفة ليس لها صلة مباشرة بالعمل السياسي، والنشاطات السياسية. أي أن نشاطهم ليس له أي تأثير ملموس على العملية السياسية الجارية وينطبق ذلك على نجوم الكرة والفن والنخب الأكاديمية ورجال الأعمال والمال [٣].

على صعيد دراسة النخبة وعلاقات السيطرة والنفوذ في الوطن العربي، تعددت الدراسات التي تناولت، والأقلام التي كتبت والخبراء والمفكرون الذين تعمقوا في دراسة هذه الظاهرة من زوايا ورؤى نظرية مختلفة. ظل بعض هؤلاء معتقداً أن الماركسية التقليدية والجديدة تمثل مرجعية أساسية للعديد من الدراسات التي اهتمت بقضية الحراك الاجتماعي وبروز النخب السياسية بخاصة في المشرق العربي وعملية وصول هذه النخب إلى مراكز التنفذ وصنع القرار السياسي[٤].

أما حليم بركات في دراساته وملاحظاته الهامة حول المجتمع العربي، فيركز على أهمية النسب والأصل والولاء القبلي والعشائري في تحديد التراتيبية الاجتماعية. وهو يرى أن الطبقة في المجتمع العربي لا تتحدد بعنصر واحد مسيطر، وإنما تتحدد بمجموعة من العناصر

(٢) G. Mosca, The Ruling Class, (New York, Mcgraw Hill, 1939)

(٣) V. Pareto, The Rise and Fall of Elites, (New York: Arno Press, 1979)

(٤) محمد مراد، النخب والسلطة في المشرق العربي المعاصر، دراسة في التشكيل البنائي الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع العربي (بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٩٦) ص.٩-١٧.

المتداخلة، منها موقع الأفراد والأسرة في الطبقة الاجتماعية/لاقتصادية، وانعدام المساواة في ملكية الأرض ورأس المال ووسائل الإنتاج. وبالتالي يجزم بركات أن الشرف الاجتماعي والمكانة الاجتماعية الرفيعة وعلاقات الوجاهة تبقى من المحددات الأساسية في التشكيل الهيراركي في المجتمع العربي[٥].

محمد عابد الجابري ميز بين نمطين من النخب السياسية: أولها القيادات النخبوية التي قادت العمل الوطني وطالبت بالتحرر والاستقلال خلال فترة الاستعمار الأوروبي، وقد خرجت هذه النخبة من رحم الأرستقراطية المدينية التقليدية. وقد احتكت هذه النخب بالغرب وساهمت في توعية الشعب من خلال نشر التعليم الحديث، وكان عندها قناعات بضرورة الإفادة من التجربة السياسية الغربية، بخاصة النظام السياسي الديمقراطي والعمل الحزبي والتعددية الثقافية. وقد آمنت بالآليات والوسائل السلمية في التحرر والحرية بعيدا عن العنف بمظاهره المختلفة. والنمط الثاني من النخب السياسية العربية يقع على النقيض من النمط الأول لأنه يرجع في أصوله المكانية والاجتماعية والاقتصادية إلى الأرياف والبادية، بدل المدينة، وقد ظهرت هذه النخبة في مرحلة الاستعمار الأوروبي للوطن العربي وآمنت بضرورة الانتقال بالنضال الوطني من مجرد العمل السياسي السلمي المدني والحزبي إلى المواجهة والصدامات والكفاح المسلح. وقد آمنت هذه النخبة في فترة ما بعد الاستعمار بأهمية تغيير الأنظمة السياسية العربية التي نصَّبَها الاستعمار بالعمل الثوري الراديكالي والانقلابات العسكرية. بعد الاستقلال، تنهمك النخبة الحاكمة، بعسكرييها ومدنييها، في منافسة النخبة التقليدية على مواقعها ومراكزها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، محاولة انتزاعها وتجييرها لصالحها، مستخدمة في ذلك كل الوسائل القسرية والدعاية الإعلامية والشعارات الأيديولوجية الثورية. كما أنها تحاول تعميم الوعي الاجتماعي الطبقي والفوارق العائلية والاختلافات المناطقية[٦].

النخبة في السياق الفلسطيني

على الصعيد الفلسطيني، تعد دراسة جميل هلال الموسومة **بتكوين النخبة الفلسطينية منذ نشوء الحركة الوطنية إلى ما بعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية**، من الدراسات الشاملة التي تناولت بالعرض والتحليل طبيعة وخصائص النخبة الفلسطينية وعملية تشكيلها. هناك تركيز خاص في دراسة هلال على النخب الوطنية السياسية والاقتصادية والنسوية في فترة ما بعد العام ١٩٦٧، إذ يورد أمثلة مختلفة من واقع الضفة الغربية وقطاع غزة خلال فترة الاحتلال. وقد اعتمد الكاتب على أسلوب المقابلات الشخصية مع العديد من القيادات الوطنية الفاعلة على الساحة الفلسطينية، السلطوية منها وغير السلطوية[٧].

---

(٥) حليم بركات، المجتمع العربي، بحث استطلاعي اجتماعي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦).

(٦) محمد عابد الجابري، إشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي، المستقبل العربي، كانون ثاني ١٩٩٣، العدد ١٦٧، ص. ٤-١٥.

(٧) جميل هلال، تكوين النخبة الفلسطينية منذ نشوء الحركة الوطنية الفلسطينية إلى ما بعد قيام السلطة، (رام اللة: مواطن، ٢٠٠٢).

أما حسن خضر في دراسته القصيرة والمعمقة، **خصوصية نشوء وتكوين النخبة الفلسطينية** التي اعتمد في منهجية كتابتها على ما اسماه الكاتب "سوسيولوجيا المعرفة"، أو كما تفهم بطريقة ماكس فيبر بحيث أن الأفكار في النهاية تعكس مصالح طبقية مرنه وأحيانا تدخل الأيدلوجيا لتعبر عن مصالح أصحاب النفوذ وصناع القرار. فقد اقتصرت الدراسة على التعرض إلى تحديد مفاهيم ومصطلحات معرفية ضرورية كالنخبة وكيفية تشكيلها في الإطار الفلسطيني. عندما يستعرض حسن خضر ما اسماه بخصوصية نشوء وأسباب وتكوين النخبة الفلسطينية، فهو يقصد الأحداث التاريخية والظروف القاسية التي مر بها الشعب الفلسطيني وقياداته في الخمسة عقود الأخيرة، وقد لعب العامل الخارجي دوراً سلبياً اقتلاعياً لأن فكرة الحركة الصهيونية وقيام دولة إسرائيل قد سببا كارثة إنسانية للشعب الفلسطيني بحيث تم اقتلاع مئات الآلاف من الفلسطينيين وتشريدهم خارج المدن الفلسطينية الساحلية كحيفا ويافا وعكا. لقد مثلت حرب العام ١٩٤٨ خسارة كبيرة للفلسطينيين عموماً ولقيادتهم وزعاماتهم الوطنية والسياسية خصوصاً لأن المدن الساحلية -حسبما يرى خضر- مثلث المصنع الاجتماعي والحاضنة التقليدية للطبقة الوسطى التي كانت دائماً قادرة على توليد الأفكار والحركات السياسية والثقافية، منتجة للإعلام الحر والصحف الوطنية، ورحماً حنوناً لتفريخ القيادات السياسية والنخب الوطنية(٨).

يبين برنارد سابيلا في دراسته المعنونة تحت "**الاتجاهات السياسية والنخب الجديدة في فلسطين**" أن مصطلح النخبة أو الصفوة يحمل في طياتها تصنيف الناس بناء على هيكلية المواقع الوظيفية "Structure of Positions" التي يحتلونها ويمارسون من خلالها سلطة ونفوذا، سواء أكان في المجالات السياسية، والاقتصادية، والمهنية، العسكرية، والأكاديمية. وفي هذا المجال، يعتقد سابيلا أن العوامل التاريخية والحضارية الهامة التي ساهمت في ظهور النخب السياسية الفلسطينية كانت دينية وتراثية بالدرجة الأولى، بخاصة أن الشعب الفلسطيني يعتنق الإسلام بأغلبيته. فبروز الزعامات التاريخية الدينية كصلاح الدين الأيوبي وعز الدين القسام والحاج أمين الحسيني قد ساهم فعلا في إكساب هذه الشخصيات الدينية مكانة مرموقة في سجل النخب الفلسطينية.

وفي استعراضه التاريخي لطبيعة وخصائص النخب السياسية الفلسطينية، يرى سابيلا أن حرب العام ١٩٤٨ قد أضعفت الأساس العائلي والأرضية العشائرية للنخب القيادية الفلسطينية بعدما فشلت فشلا ذريعاً في حماية فلسطين الموحدة من الاستيطان اليهودي، وأثبتت عدم القدرة على منع قيام دولة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية.

ومع نشوب حرب عام ١٩٦٧، وظهور منظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني، وكقائد لحركته الوطنية، تراجع المد العائلي للنخب وانحسر دور العامل العائلي كمحدد رئيسي للقيادات السياسية داخل الحركة الوطنية الفلسطينية. ظهرت بدلاً من ذلك، الأيديولوجيات الثورية

---

(٨) حسن خضر، خصوصية نشوء وتكوين النخبة السياسية الفلسطينية، معهد ابراهيم ابو لغد للدراسات الدولية، جامعة بير زيت، ٢٠٠٣.

والأطروحات الوطنية التحريرية كأساس شرعي للنخب الجديدة التي اتخذت من وطنيتها مقياساً جديداً لمكانتها في المجتمع والامتيازات النخبوية التي تتمتع بها[٩].

العقائدية في زعامة الحاج امين الحسيني

يعتقد مجيد خدّوري أن الحاج أمين الحسيني ينتمي إلى المدرسة العقائدية المتطرفة [١٠]. فنخبوية الحاج أمين ونمط قيادته جمعت الشرف العائلي والدور الديني والبعد الوطني في شخصيه واحدة. ويعتمد الفكر العقائدي نظرياً على مجموعة من المبادئ المثالية والطوباوية بحيث يسعى صاحب الفكر العقائدي إلى تحقيق أهدافه ومراميه العامة باستخدام كافة الوسائل والأساليب المتاحة، بما فيها الوسائل الثورية/الراديكالية والعنفية المسلحة حتى وان كان ميزان القوى يميل في غير صالحه. وينظر القادة العقائديون إلى الحرب أو العنف المسلح على انه رسالة جهادية ماضية إلى يوم الدين [١١]. كما يسلك أصحاب المدرسة العقائدية طريق صناعة الأصدقاء وتوسيع دائرة الحلفاء من أجل حسم المواجهة مع العدو عسكرياً حتى يتسنى لهم قطف الثمار السياسية في وقت أقصر وأسرع. هذه الفئة من الشخصيات الفلسطينية التاريخية التي يُعتبر الحاج أمين الحسيني جزءاً منها، تراقب التحولات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية التي يشهدها العالم من حولهم، وقد تأثرت آراؤهم وتصوراتهم عن العالم والحياة والتواصل الإنساني بأيديولوجية دينية أو قومية. وفي العادة تنعكس أرضيتهم وتربيتهم الاجتماعية والثقافية والدينية على أسلوب عملهم وأسلوب قيادتهم وإدارتهم للمعركة السياسية [١٢].

لقد تلقى الحاج امين العلوم الأساسية في الشريعة والآداب في الأزهر، وفي الجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا). وقد تردد كثيراً على دار الدعوة والإرشاد التي أسسها الشيخ العلامة محمد رشيد رضا، المعروف بدعوته إلى التجديد في العالم العربي والإسلامي، وضرورة إصلاح التربية والمدارس وإعطاء أولويات واضحة لتنمية الزراعة والصناعة والتجارة [١٣]. لقد آمن محمد رشيد رضا بالدعوة إلى التجديد خاصة في الأمور الدنيوية وفنون الحرب والعسكر وأهمية إحياء اللغة العربية، باعتبارها لغة القرآن الكريم من خلال بناء دور فعال يقوم به أهل الحل والعقد[١٤]. وإضافة إلى ذلك، تأثر المفتي بأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي، وغيرهم من رواد الحركة الإسلامية الإصلاحية التي انطلقت في نهايات القرن التاسع عشر. وأبدى المفتي قلقاً شديداً في أعوام ١٩١٩-١٩٢٠ على

---

(٩) ظهرت دراسة برنارد سابيلا حول النخبة الفلسطينية على موقع: www.yahoo.com/political elites

(١٠) مجيد خدوري، عرب معاصرون ادوار القادة في السياسة، بيروت: دار المتحدة للنشر، ١٩٨٣، ص.١٢٩-١٦٢.

(١١) المصدر السابق.

(١٢) المصدر السابق.

(١٣) نبيل خالد الآغا، وجوه فلسطينية خالدة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢، ص.٦٧.

(١٤) البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩، ترجمة: كريم عزقول، بيروت: نوفل، ١٩٩٧، ص. ١١٣-١٦٨.

أوضاع الخلافة الإسلامية خاصة بعد هزيمة الأتراك في الحرب العالمية الأولى واقتسام المشرق العربي بين بريطانيا وفرنسا بموجب معاهدة سايكس بيكو في عام ١٩١٦[١٥].

كانت الخلافة الإسلامية ونهايتها بهذا الشكل المؤسف بعد الحرب العالمية الأولى شغله الشاغل، وهمه الأول والوحيد، ففي مؤتمر الصلح الذي انعقد في باريس بعد نهاية الحرب الأولى طلب الحاج أمين الحسيني من وفد مسلمي الهند إلى المؤتمر أن يشّكلوا حصناً منيعاً أمام الحلفاء منعاً لاقتسام ممتلكات دولة الخلافة العثمانية، وأن يطالبوا جهراً بحماية الأماكن المقدسة التي هي تحت إشراف خليفة المسلمين بما فيها المقدسات الإسلامية في بيت المقدس[١٦]. ولتفعيل الحضور الفلسطيني في الوجدان العربي والإسلامي، حضر الحاج أمين الحسيني مؤتمر مكة المكرمة الذي انعقد في عام ١٩٢٦ بدعوة من الملك عبد العزيز آل سعود لمناقشة أوضاع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. كما أنه أوفد وفداً فلسطينياً إلى سوريه في عام ١٩٢٧ للالتقاء بزعامات المسلمين الهنود الذين أبدوا اهتماماً منقطع النظير بقضية فلسطين، وأظهروا تأييداً واضحاً للفلسطينيين في حربهم وجهادهم ضد الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية في المجالات السياسية والعسكرية والمادية والمعنوية[١٧].

حرض الحاج أمين الحسيني ضد الإنجليز بقوة الكلمة والحُجة في أول ثورة فلسطينية شعبية عارمة ضد الانتداب في عام ١٩٢٠. فبينما كان عارف العارف يقود المجاهدين والثوار في أحياء القدس، كان الحاج أمين الحسيني يحض الفلسطينيين في خطبه ومقالاته وأحاديثه للثورة ضد الإنجليز، وضد الوجود اليهودي في القدس[١٨]. بعد عامين من هبة سنة ١٩٢٠، تأسس المجلس الإسلامي الأعلى بمبادرة فلسطينية خالصة دعت إليه شخصيات فلسطينية ووطنية من مختلف أنحاء فلسطين كان على رأسهم الحاج أمين الحسيني - الذي انتخب لاحقاً ليكون أول رئيس للمجلس الإسلامي الأعلى – وعبد الله الدجاني وعبد اللطيف صلاح وسعيد الشوا ومحمد توفيق مراد وغيرهم[١٩]. أصبح المجلس الإسلامي الأعلى تحت قيادة الحاج أمين، ومع مرور الوقت، من الصروح الوطنية والإسلامية حيث قام بالعديد من النشاطات والأعمال والإنجازات المعنوية والسياسية كان في مقدمتها فتح عشرات المدارس والمحاكم الشرعية، وإنشاء فرق الجوالة والكشافة الإسلامية، والجمعيات الخيرية والنوادي الأدبية والرياضية. إلا أن أهم تلك الأعمال كان الشروع في إعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة [٢٠].

(١٥) نبيل خالد الآغا، مصدر سابق، ص. ٦٨.

(١٦) تيسير جبارة، قضية فلسطين من خلال سيرة الحاج امين الحسيني، نابلس: الجمعية العلمية الفلسطينية، ١٩٧١، ص.١٣.

(١٧) تيسير جبارة، المسلمون الهنود وقضية فلسطين، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ص. ١٠٧-١٢٠.

(١٨) مجيد خدوري، مصدر سابق، ص. ١٣٤.

(١٩) نيل خالد الآغا، مصدر سابق، ص. ٦٩.

(٢٠) ألقى الحاج امين خطاباً هاماً في ذكرى افتتاح عمارة القبة للمسجد الأقصى المبارك والذي صادف ذكرى المولد النبوي الشريف وبحضور وفود إسلامية عديدة في ١٩٢٨/٨/٣٠. انظر: حماد حسين، مجموعة وثائق تاريخ فلسطين السياسي والاقتصادي والتعليمي خلال فترة الانتداب البريطاني ١٩٣٩-١٩٥٩، جنين: المركز الفلسطيني للثقافة والإعلام، ٢٠٠٣، ص.٨٩-٩٥.

وبعد ثورة البراق [(٢١)] التي اندلعت في عام ١٩٢٩ والتي دافع من خلالها الفلسطينيون عن المسجد الأقصى تحدياً للأوهام والذرائع على أنه حائط المبكى في الأدبيات اليهودية والصهيونية. شعر الحاج أمين الحسيني بحاجة ماسة وضرورة ملحه لتعميق البعد الإسلامي للقدس والمقدسات واستثارة فلسطين المسلمة في نفوس المسلمين، كما انه استشعر أهمية توجيه أنظار المسلمين نحو أولى القبلتين وثالث الحرمين. وانعقد المؤتمر الإسلامي الأول في مدينة القدس الشريف برعاية الحاج أمين الحسيني في كانون أول عام ١٩٣١ بحضور ٢٢ وفداً من بلدان إسلامية مختلفة، وقد حضره شخصيات إسلامية معروفة كالشيخ العلامة محمد رشيد رضا، والمفكر الهندي مولانا شوكت علي والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي وغيرهم من الشخصيات الإسلامية التي جاءت في رحلة حج ديني وسياسي دعماً للوجود العربي الإسلامي في القدس[(٢٢)].

تمخض عن المؤتمر قرارات وتوصيات كان على رأسها إنشاء جامعة إسلامية في الأراضي الفلسطينية تكون القدس مقرا لها حتى تساهم في المحافظة على الهوية الإسلامية في فلسطين. ووضع قضية فلسطين أمام الرأي العام الإسلامي إلى درجة اتسعت دائرة الاهتمام بها. وثمة ميزة أخرى لعام ١٩٣١ أنه ضم مندوبين لم يمثلوا بلادهم تمثيلا رسمياً لان أكثرية البلاد الإسلامية في آسيا وأفريقيا كانت إما تحت الاستعمار البريطاني أو الفرنسي، لكنهم مثلوا الشعوب الإسلامية التي أظهرت تعاطفاً شديداً مع فلسطين وأهلها وعارضت بقوة تهويدها من قبل الإنجليز واليهود [(٢٣)].

شدد عبد العزيز الثعالبي مسؤول الوفد التونسي في خطابه في حفلة افتتاح المؤتمر الإسلامي الأول، على الجوانب الحضارية الجامعة للأمة الإسلامية التي هي سر قوتها ووصولها إلى أصقاع الأرض المتباعدة. فالمسلمون جمعتهم عوامل كثيرة منها الدين والتاريخ واللغة والجغرافيا والعلاقات التضامنية الأخرى، وما هذا الاجتماع في قلب القدس لمناصرة الفلسطينيين إلا دليل واضح على الطابع التضامني والأخوي للأمة الإسلامية. يقول الثعالبي: "إن بلاد المسلمين موصولة ببعضها غير منفصلة، وشعوبهم متجاورة متماسكة لا يفصلهم عن بعضهم فاصل من الصين إلى المحيط الأطلنطي، ولا يحول دون تفاهمهم حائل حتى من اللغة العربية التي وحدت الصيني والتركستاني والهندي والفارسي والجاوي والبربري والبوسني، بدليل ما نشاهده في هذا المؤتمر، فقد اجتمعت فيه أمم الشرق الواقعة بين المحيطين الباسفيك والأطلنطي، وكلهم يتفاهمون ويتباحثون بهذه اللغة الشريفة كأنهم من سلائل القحطانيين"[(٢٤)].

---

(٢١) علي محافظة، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني ١٩١٨-١٩٤٨، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢، ص.١٠٧-١٠٨.

(٢٢) بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨، ط ٢، عكا: دار الأسوار، ١٩٨١، ص.٢٤٦-٢٤٧.

(٢٣) فلسطين تاريخها وقضيتها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، نيقوسيا، قبرص، ١٩٨٣، ص.٦٠.

(٢٤) حماد حسين، مصدر سابق، ص.١١٢.

احتل المسلمون الهنود حيزا هاما في تفكير المفتي لبناء مفهوم تضامني إسلامي عالمي، وكانوا جزءاً حيويا في استراتيجية الحاج أمين لاستثارة اهتمام المسلمين بالأماكن المقدسة في بيت المقدس. لقد وقفت عدة أسباب وراء اهتمام الحاج أمين بمسلمي شبه القارة الهندية، أولها كان العدد الهائل لهذا التجمع الإسلامي الذي كان الأضخم والأكبر في العالم، فقد بلغ عدد مسلمي جنوب آسيا (شبه القارة الهندية) في بداية الثلاثينات من القرن العشرين ٨٠ مليون مسلم [٢٥]. وفي أحد خطاباته التي ألقاها في مدينة بومباي غرب الهند عام ١٩٣٣، قال فيها : "لقد أتينا من البلاد المقدسة التي تضم المسجد الأقصى المبارك ومكان البراق الشريف والتي هي القبلة الأولى للمسلمين، وفيها كان الإسراء والمعراج بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الآثار ومقامات الأنبياء والصحابة والشهداء والأولياء الصالحين. وهبطنا في هذه البلاد لنطلب من إخواننا مسلمي الهند الذين هم أكبر كتلة إسلامية في العالم القيام بواجبهم الديني بمد يد المساعدة للمشروع الذي جئنا من أجله"[٢٦].

واستطرد المفتي في خطابه مبيناً أهمية الوجود الفلسطيني في الأراضي المقدسة والدور الذي يجب أن يقوم به مسلمو الهند حيث قال: "لا يخفى على أي مسلم أن هذه البلاد المباركة وما فيها من الأماكن المقدسة هي لجميع المسلمين على السواء، لا لمسلمي فلسطين وحدهم وما مسلمو فلسطين إلا حراساً عليها، ليس لهم فيها إلا بمقدار عددهم، وهو نحو ثمانمائة ألف بينما يبلغ مسلمو الهند ثمانين مليوناً، وكذلك فهم أصحاب الحصة الكبرى، وعليهم تقع المسؤولية العظمى أمام الله والتاريخ والعالم الإسلامي في المبادرة لمساعدة هذه البلاد المقدسة وإنجادها"[٢٧].

يعتقد الدكتور تيسير جبارة الذي كتب بإسهاب حول العلاقة التي جمعت الحاج أمين مع مسلمي الهند خلال فترة الانتداب البريطاني[٢٨]، إن السبب الآخر الهام الذي لفت نظر المفتي إلى الدور الذي يمكن أن يلعبه مسلمو الهند في واجب تحرير فلسطين الإسلامية هو انطلاقة حركة الخلافة الإسلامية التي أسسها مجموعة تنويرية من مسلمي الهند في عام ١٩١٩[٢٩]. وقد انطلقت حركة الخلافة كاستجابة لنداء السلطان عبد الحميد الثاني الذي طالب بإنشاء رابطه التضامن الإسلامي من أجل حماية مشروع الخلافة من الهجمات الغربية والاختراق الحضاري الذي

(٢٥) ذكر المفتي نفسه هذا الرقم في إحدى خطبه الذي ألقاها في بومباي غرب الهند في عام ١٩٣٣، انظر حماد حسين، مصدر سابق، ص. ١١٨.

(٢٦) المصدر السابق، ص. ١١٨.

(٢٧) المصدر السابق، ص. ١١٨.

(٢٨) انظر كتاب الدكتور تيسير جبارة، المسلمون الهنود وقضية فلسطين، مصدر سابق.

(٢٩) يرى نعيم قرشي ان قيادة حركة الخلافة ضمت نخب من شرائح اجتماعية مختلفة مثلوا مسلمي الهند، فالدكتور انصاري، وحكيم اجمل خان كانوا أطباء ، وعبد الباري وابو الكلام ازاد كانوا من علماء وفقهاء الامة، بينما الاخوين محمد علي وشوكت علي فكانوا صحفيين، أما سث سوهاني وعمر صوباني وسيد زاهر احمد فانتموا إلى مهن التجارة والمحاماة. انظر:
http://www.binoria.org/albineng/august 98/khilafat.html.

يمارسه الغرب، ولهذا الغرض أرسل السلطان عبد الحميد الثاني ممثله الشخصي المفكر الكبير جمال الدين الأفغاني إلى الهند لحث زعامات المسلمين هناك لتبني مشروع حماية الخلافة(٣٠).

عقدت حركة الخلافة اجتماعات ولقاءات في عدة مدن هندية وبخاصة في المدن الشمالية، ونجحت في إصدار بيان الخلافة. استطاعت حركة الخلافة الدخول في شراكه استراتيجية مع المهاتما غاندي، قائد حركة التحرير الهندية في عام ١٩٢٠ عندما أصبح غاندي عضوا في لجنة الخلافة في جلسة عقدت في مدينة ناكبور(٣١).

وقد اتُفِقَ في هذا الاجتماع أن تقوم حركة الخلافة بتنسيق خطواتها الاجتماعية والجهادية ضد الانتداب البريطاني مع حزب المؤتمر الوطني الهندي (الكونغرس) الذي كان غاندي إحدى رموزه المهمين. مثل هذا الاجتماع إجماعاً إسلامياً-هندوسياً لنصرة قضية تحرير الهند من القبضة البريطانية ودعم الشعوب الأخرى في مساعيها للتحرر والاستقلال(٣٢).

ازدادت نشاطات واهتمامات مسلمي الهند بالأماكن المقدسة في فلسطين بعد إصرار وتصميم الحاج امين الحسيني على دفن مولانا محمد علي، الأب الروحي لحركة الخلافة، في رحاب المسجد الأقصى(٣٣). فبعد موافقة شوكت علي، الأخ الأصغر لمولانا محمد علي، جرت مراسم الدفن في القدس الشريف بحضور أكثر من مائة ألف مسلم من بينهم شخصيات إسلامية وعربية وفلسطينية معروفة كعبد العزيز الثعالبي وإسعاف النشاشيبي ووديع البستاني(٣٤). كان هدف المفتي أن يجعل من القدس العاصمة الروحية التي توحد بين المسلمين في الحياة والممات، كما أن عدد المسلمين الهنود الذين بدأوا بالتوافد لزيارة المقدسات في القدس في رحلة الحج والسياحة الدينية اخذ بالتزايد يوما بعد يوم خاصة أن زعيمهم مولانا محمد علي يرقد في رحاب الأقصى(٣٥). ولتجسيد هذه الفكرة ساند المسلمون الهنود بقوة فكرة تأسيس جامعة الأقصى الإسلامية التي كانت أحد مقررات المؤتمر الإسلامي الأول الذي انعقد في القدس عام ١٩٣١.

ولتجسيد هذه الفكرة عملياً تم إنشاء لجنة خاصة يرأسها المفتي نفسه وعضوية كل من محمد علي علوبه من مصر، وعلي محيي الدين الحسيني وناظر حسن الأنصاري لمتابعة هذا الموضوع والسعي لتمهيد الأرضيات وتهيئة الأجواء السياسية والمادية والقانونية أمام هذا المشروع الحيوي. زار الوفد عواصم مختلفة منها عمان وبغداد قبل وصوله إلى دلهي ثم زار شملا وبومباي ولكناوّ وغيرها من المدن الهندية الرئيسة التي تقطنها أغلبية من المسلمين(٣٦). لقد

---

(٣٠) تيسير جبارة، المسلمون الهنود وقضية فلسطين، مصدر سابق، ص.٦٧-٨٦.

(31) Khilafat movement: Available from http://www.en.wikipedia.org/wiki/khilafat_movement

(٣٢) المصدر السابق.

(٣٣) تيسير جبارة، المسلمون الهنود وقضية فلسطين ، مصدر سابق، ص.١٧٥.

(٣٤) المصدر السابق، ص.١٧٦.

(٣٥) المصدر السابق، ص.١٧٧.

(٣٦) المصدر السابق، ص.٢٠٨.

استطاع الوفد بعد ثلاثة شهور من مكوثه هناك أن يجمع ملايين الروبيات الهندية لصالح هذا المشروع الحيوي الذي لم ير النور وتعطّلت جهود المفتي بهذا الخصوص بسبب معارضة بريطانيا استقبال هذه الأموال لأنها تساهم في المحافظة على الهوية الدينية للفلسطينيين وتُحَفِزْ فيهم روح الجهاد والمقاومة. كما أن الحركة الصهيونية لعبت دورا معيقاً أمام هذا المشروع من خلال بث الدعاية والدسائس والتي كان مفادها أن جامعة الأقصى الإسلامية سوف تؤثر سلباً على جامعة الأزهر في مصر وتكون منافسة لها. لقد استغل اليهود علاقاتهم المتينة مع الإدارة البريطانية ومع وزارة المستعمرات على وجه الخصوص من أجل وقف هذا المشروع وتعطيله خاصة انه انطلق في الأساس كرد فعل على تأسيس الجامعة العبرية في القدس في عام ١٩٢٥[٣٧].

ختاماً يمكن القول أن التركيز الشديد على علاقة المفتي مع مسلمي شبه القارة الهندية انطلق من عدة محددات ومنطلقات، منها انهم كانوا يمثلون اكبر تجمع إسلامي في العالم في تلك الفترة خاصة أن الهند كانت تضم الهند الحالية إضافة إلى باكستان وبنغلادش واجزاء أخرى من جنوب آسيا. إن مسلمي شبه القارة الهندية امتازوا بالعاطفة الدينية الجياشة، وتألموا كثيرا عند انهيار دولة الخلافة في عام ١٩٢٤. يضاف إلى كل ذلك حقيقة هامة أن كلاً من الهند وفلسطين تتشابهان في بعض الإحداث التاريخية، فكلتاهما وقعتا تحت السيطرة البريطانية المباشرة، فضلا عن الدور البريطاني الواضح في التمهيد لتقسيمهما، وخلق حالة صراع بين الهندوس والمسلمين في الهند، وبين العرب واليهود في فلسطين.

الواقعية السياسية من منظور الحاج أمين

تضم النخب السياسية الواقعية أو البراجماتية اؤلئك الذين تمتاز آراؤهم السياسية وتصوراتهم العامة بعدم الجمود وعدم الثبات لأنها تتغير وتأخذ بعين الاعتبار موازين القوى الدولية والبيئية الإقليمية والرأي العام العالمي[٣٨]. هذه النخب القيادية تحدد أهدافها بنوع من الدقة والدراسة وتسلك كل الطرق الممكنة وما يتاح لها من وسائل وأدوات لتحقيق هذه الأهداف. فهم الذين فهموا الواقع من أجل تغييره وفق إرادتهم وليست لديهم نظرة أحادية ضيقة إلى الوسائل وأدوات الصراع مع العدو أو الخصم، فتارة يلجؤون إلى العنف المسلح في ظل بيئة استراتيجية مناسبة وحسابات عقلانية واعية على الأرض، وتارة يحتكمون إلى الدبلوماسية والقنوات

(٣٧) الموسوعة الفلسطينية، المجلد الرابع، ط ١، ١٩٨٤، ص.١٣٩.

(٣٨) تعّرف البراجماتية على أنها التفكير بطريقة عملية في تناول الأشياء والقضايا والحلول للمشاكل، دائما يكون الأحكام بالنتائج الملموسة على الأرض بعيداً عن النظريات والمبادئ المثالية الطوباوية، انظر: http://Encarta.msn.com كما أنها تعرف على أنها المنهج العملياتي للمشاكل والقضايا المختلفة، بحيث تجمع بين الأهداف النظرية من جهة والقدرات من جهة أخرى، نبعت البراجماتية أساسا من حركة أمريكية في الفلسفة نادت بضرورة اختبار المفاهيم والحقائق على ارض الواقع وان تكون قابلة للتطبيق، انظر: http://www.m_w.com

السياسية الدبلوماسية خاصة عندما تكون مدعومة برأي عام دولي، وتأييد من الحكومات الفاعلة على مستوى العالم [٣٩].

فياسر عرفات على سبيل المثال قاد العمل العسكري الفلسطيني الذي أخذ طابع العمليات الفدائية منذ نهاية الستينات إلى السنوات الأولى من ثمانينات القرن العشرين، وبعد الخروج من بيروت لم يتورع عن الالتجاء إلى استراتيجية الدبلوماسية المكثفة مستفيدا من علاقاته الدولية والعربية[٤٠]. وعندما أدرك أن الدبلوماسية لا تكفي لإحراز نقلة نوعية على المسار السياسي، قام بدعم الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي تفجرت في عام ١٩٨٧ كرافعة شعبية ميدانية مع الدبلوماسية والخط السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية. مرة أخرى، عندما شعر ياسر عرفات بإجحاف اتفاقية أوسلو والظروف الدولية الصعبة التي تزامنت معها، لجأ إلى انتفاضة الأقصى لتحسين الوضع التفاوضي، أملاً في التوصل إلى تسوية مرضية تحقق الحد الأدنى من مطالب الشعب الفلسطيني[٤١].

بدأ الاستثمار السياسي للجهد المقاوم والثورة الجهادية الفلسطينية التي تجسدت في هبة البراق في عام ١٩٢٩ عندما قام الوفد الفلسطيني برئاسة موسى كاظم الحسيني بزيارة لندن ولقاء رئيس الوزراء البريطاني رمزي ماكدونالد. وقد ضم الوفد العديد من القيادات بمن فيهم الحاج أمين الحسيني وراغب النشاشيبي الذين هدفوا من هذه الزيارة إسماع صوتهم عالياً تحت قبة البرلمان البريطاني، والضغط أكثر على صانع القرار البريطاني لوقف الهجرة اليهودية لأنها جرَّت البلاد إلى مواجهات دموية، ومنع تسرب ملكية الأراضي من العرب إلى اليهود، والدعوة إلى تأسيس حكومة وطنية فلسطينية لكل الفلسطينيين من مسلمين ومسيحيين ويهود[٤٢]. وعلى الرغم من فشل هذه الزيارة حيث أن السلطات البريطانية لم تتجاوب إيجاباً مع الوفد [٤٣]، إلا أن هذه الزيارة ساعدت الوفد الفلسطيني في معرفة دهاليز السياسة البريطانية وفضح التحالف البريطاني-اليهودي القائم على أساس تبادل المصالح والمنافع في فلسطين[٤٤]. فرد الحاج أمين الحسيني بطريقة استراتيجية مدروسة، لخلق حالة توازن ضد التحالف البريطاني-الصهيوني، حيث استخدم ورقة مسلمي الهند لخلق بلبلة في الإدارة البريطانية الحاكمة في الهند التي كان المسلمون جزءاً هاماً فيها[٤٥].

---

(٣٩) المصدر السابق.
(٤٠) انطونيو روبي، مع عرفات في فلسطين تاريخ العلاقات الفلسطينية-الإيطالية (ترجمة) مجير الأحمد، رام اللة: وزارة الثقافة الفلسطينية، ١٩٩٨، ص.٤٧-٥٠.
(٤١) ايمن يوسف، البراجماتية والكارزماتية في شخصية ياسر عرفات: دراسة في النخبة والقيادة، مؤتمر ياسر عرفات، ذاكرة وطن وصيرورة شعب، تشرين ثاني ٢٠٠٥، جامعة الأقصى، غزة.
(٤٢) عبد الوهاب الكيالي، مصدر سابق، ص.٢٢٢.
(٤٣) تيسير جبارة، قضية فلسطين من خلال سيرة الحاج امين الحسيني، مصدر سابق، ص.٤٦.
(٤٤) المصدر السابق.
(٤٥) نبيل خالد الآغا، وجوه فلسطينية خالدة، مصدر سابق، ص.٧٢.

أدرك الحاج أمين الحسيني مبكراً أن إنجاز مشروع التحرير والاستقلال الوطني يتطلب خطة مدروسة توازن بين العِداء الشديد للصهيونية وعدم الإنجرار وراء المهاترات التي كانت تبثها بعض الأحزاب العربية خاصة حزب الدفاع الوطني بزعامة راغب النشاشيبي، والمحافظة على علاقة ودية مع الإنجليز[٤٦]. في نفس الوقت الذي شعر فيه أنه بحاجة ماسة إلى تنظيف الجبهة الداخلية وتمتين أواصر البيت الفلسطيني خاصة بعد شيوع ظاهرة السمسرة وبيع الأراضي لليهود، لأن الأرض كانت وما زالت عنوان الكرامة والبقاء الوطني[٤٧]. كتب الشيخ عز الدين القسام، قبل استشهاده في عام ١٩٣٥، رسالة إلى الحاج أمين الحسيني يطلب منه فيها تفجير الثورة في جنوب فلسطين، على أن يبدأ القسام الثورة في الشمال[٤٨]. إلا أن الحاج أمين طلب التريث وعدم التسرع في إطلاق رصاصة الجهاد لأن هناك آفاقاً لحلول سياسية مع الإنجليز، ولغياب أي توازن نوعي استراتيجي في ميزان القوى بين الفلسطينيين من جهة وبين البريطانيين واليهود من جهة أخرى [٤٩]. لقد أدرك الحاج أمين ببصيرته الثاقبة أن التسرع في العمل العسكري المقاوم يمكن أن يقود إلى إعطاء العدو فرصة ذهبية لقمع الشعب الفلسطيني والتخلص من قياداته التاريخية وتمهيد الأجواء والظروف أمام اليهود لتهويد فلسطين واستشراء قبضتهم عليها.

تشكلت اللجنة العربية العليا بمبادرة من الحاج أمين الحسيني وبعض قادة الأحزاب العربية الفلسطينية الأخرى، خلال ثورة عام ١٩٣٦-١٩٣٩ والتي توجت بالإضراب العظيم الذي دام ستة أشهر كاملة[٥٠]. اللافت للنظر هنا قدرة الحاج أمين على قيادة اللجنة في وقت حساس ومعقد خاصة أنها ضمت شخصيات مقدسية وفلسطينية مختلفة في مشاربها ومآربها وأطروحاتها السياسية، ولعل هذا يعكس الصفات النخبوية والقيادية التي امتلكها الحاج أمين لأن اللجنة كانت مسؤولة عن إدارة المعركة السياسية مع الإنجليز، وتوجيه الجهود العسكرية بشكل يكفل استثمارها سياسياً بخاصة أن الزعامات العربية في تلك الفترة أظهرت فتوراً شديداً اتجاه الإضراب العظيم الذي نفذه الفلسطينيون[٥١]. رأى الحاج أمين الحسيني في تحليله الشخصي للأحداث، أن الأمور والأحداث لم تكن تسير كما يجب بالنسبة للفلسطينيين في عام ١٩٣٦، وبناء على ذلك اتخذت اللجنة العربية العليا قراراً في ١٩٣٦/١٠/١٠ لوقف الإضراب العظيم بعد أن تكاتفت مجموعة من الأسباب والمتغيرات منها: رغبة الزعماء العرب بفك الإضراب، وقرار

(٤٦) مناويل حساسيان، الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩١٩-١٩٣٩، القدس: منشورات البيادر، ١٩٨٧.

(٤٧) نبيل خالد الآغا، مصدر سابق، ص.٧٣.

(٤٨) تيسير جبارة، قضية فلسطين من خلال سيرة الحاج امين الحسيني، مصدر سابق، ص.٥٨.

(٤٩) المصدر السابق.

(٥٠) ضمت اللجنة العربية العليا إضافة الى المفتي: عوني عبد الهادي، احمد حلمي، راغب النشاشيبي، جمال الحسيني، عبد اللطيف صلاح، الدكتور حسين الخالدي، يعقوب الغصين، يعقوب فراج، والفرد روك. انظر: عبد الوهاب الكيالي، مصدر سابق، ص.٢٦٥.

(٥١) سميح شبيب، الاصول الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية الفلسطينية، ١٩٢٠-١٩٤٨، عكا: مؤسسة الاسوار، ١٩٩٨، ص.٨٧-٩٢.

بريطانيا بوقف الإضراب بقوة السلاح، إضافة إلى أن الحالة الاقتصادية والاجتماعية قد وصلت إلى قمة السوء[٥٢].

أبدى الحاج أمين الحسيني رغبة واستعداداً للمشاركة في المعركة العسكرية والجهادية ضد الإنجليز قناعة منه أن العمل السياسي والدبلوماسية واللقاءات والحوارات لا تكفي لدحر الإنجليز واليهود. وقد ذكر المفتي في مذكراته أنه طلب من بعض قادة المجاهدين والمقاومة مساعدته للالتجاء إلى المناطق الجبلية النائية لقيادة وتوجيه العمل الجهادي من هناك[٥٣]. إلا أن قادة المجاهدين امتنعوا عن ذلك بعد دراسة الموضوع بشكل عميق إيماناً منهم أن مكان الحاج أمين الحسيني في العمل السياسي، ولأن جغرافية فلسطين لا تساعد على ذلك. يقول المفتي بهذا الخصوص:

"وقد كنت أبديت رغبتي لصفوة من قادة المجاهدين، في الخروج من القدس إلى إحدى المناطق الجبلية المنيعة في فلسطين للمشاركة في الجهاد، إذ كنت قد مارست الجندية عندما كنت ضابطاً في الجيش العثماني طول مدة الحرب العالمية الأولى. لكن أولئك القادة بعد دراسة عميقة للموضوع، عارضوا هذه الرغبة بقوة قائلين إن وجودي في أي منطقة من مناطق الثورة، يجعلها هدفاً مُركزاً للأعمال العسكرية البريطانية ومهاجمتها بالطائرات والمدافع والمصفحات، لا سيما أن فلسطين بلاد صغيرة الرقعة تقطعها السيارة خلال ساعتين، وليس فيها أي منطقة لا يستطيع جيش الأعداء اقتحامها بوسائله الحربية الوافرة ولا تصلح إلا لحرب العصابات التي هي حرب كر وفر"[٥٤].

خاض المفتي بعد خروجه سراً من القدس إلى بيروت هاربا من قمع واضطهاد الإنجليز، معركة سياسية طويلة على كل الجبهات عن طريق بناء الدعم الخارجي[٥٥]. ومنح نشوب الحرب العالمية الثانية فرصة ثمينة للحاج أمين من أجل إعادة دراسة اعتباراته الاستراتيجية وخياراته السياسية في ظل استقطاب دولي حاد بين الحلفاء ودول المحور. يذكر مجيد خدوري انه بالرغم من العلاقة السيئة التي نشأت بين الحاج أمين وبريطانيا العظمى في أعقاب ثورة عام ١٩٣٦، إلا أن المفتي لم يظهر بجلاء انحيازه الكامل لجهة معينة في الحرب حتى يستطيع أن يرتب علاقاته ويوسع دائرة أصدقائه وحلفائه[٥٦].

لم تكن علاقة الحاج أمين مع دول المحور (ألمانيا وإيطاليا) قائمة على أساس التناغم في المذهب السياسي أو الانسجام الأيدلوجي، إنما كانت الأمور على الأرض ابعد من ذلك. يقول المفتي إنه شعر أن هتلر لا يرغب بتوقيع اتفاقية معه تحدد طبيعة المهام والمسؤوليات والمصالح

---

(٥٢) تيسير جبارة، قضية فلسطين من خلال سيرة الحاج امين الحسيني، مصدر سابق، ص.٧١.
(٥٣) مذكرات الحاج محمد امين الحسيني، إعداد عبد الكريم العمر، دمشق: الأهلي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص.٣٦.
(٥٤) المصدر السابق.
(٥٥) مجيد خدوري، مصدر سابق، ص.١٤١.
(٥٦) المصدر السابق.

وذلك بقوله: "لما أدركت أن هتلر لا يرغب في إعلان التصريح الرسمي الذي طلبته منه، بالاعتراف باستقلال الأمة العربية وسيادتها ووحدتها، وانه يرى إرجاء ذلك إلى ما بعد انتهائه من فتح القوقاز، واطمئنانه إلى موقف ألمانيا العسكري، اقترحت عليه عقد اتفاقية أو معاهدة سرية بين ألمانيا والعرب بدل من التصريح العلني، فقال إن اتفاقا أو معاهدة سرية يعرف بها أشخاص عديدون، لا تبقى سراً مكتوماً، ولا تلبث أن تُعرف، لقد أصدرت في حياتي قليلا من التصريحات، على عكس الإنجليز الذين أصدروا تصريحات وقطعوا عهوداً كثيرة ولم يفوا بها"(٥٧).

ركز الباحث بصورة خاصة على علاقة الحاج أمين مع ألمانيا لان ألمانيا ومنذ بداية الثلاثينات بدأت تشكل المحور القادر على تحدي دول الحلفاء خاصة بريطانيا وفرنسا. والمعروف أن هاتين الدولتين هما المسؤولتان عن تقسيم منطقة الشرق العربي بعد الحرب العالمية الأولى، ودعمتا وبقوة فرض الانتداب من خلال عصبة الأمم كآلية جديدة وناعمة يختفي تحتها الاحتلال والاستعمار.برؤيته السياسية وحدسه الشخصي، كان الحاج أمين يرى حالة الاستقطاب التي بدأت تتبلور بعد نهاية الحرب بين بريطانيا وحلفائها وألمانيا وأصدقائها، وهذا حتم في النهاية على الحاج أمين أن يحدد بالضبط الأرضية التي يقف عليها.وعلى الرغم من رفض هتلر التوقيع على معاهدة تفاهم مع الحاج أمين، إلا أن هذا الأخير وافق للوقوف مع الألمان لان خياراته كانت محدودة، ولان الاستقطابات الدولية كانت ثنائية وحادة لدرجة لا تسمح له بالتفكير في خيارات وبدائل أخرى.

فالمفتي عاش في منفاه الاختياري مع هتلر وموسوليني بعد عام ١٩٤٠ دون أن يكون بينهم أي اتفاق أو تفاهم. باختصار كان موقف المفتي من هتلر وموسوليني كما كان موقف ستالين من روزفلت وتشرشل خلال الحرب العالمية الثانية، وكما كانت علاقة عبد الناصر مع الاتحاد السوفيتي فيما بعد علاقة تبادل مصالح في ظل وجود عدو مشترك(٥٨). كانت نظرة المفتي إلى التحالف الألماني-الإيطالي نظرة واقعية براجماتية، فقد قيَّم هذه العلاقة من منظور المصلحة الوطنية الفلسطينية والقومية العربية بعيداً عن الحسابات العسكرية والاستراتيجية البحتة. لم يغب عن بال المفتي وفكرة أن الارتماء الأعمى في أحضان الإنجليز قد أضر بالمصالح العربية العليا حينما قام الإنجليز بنكث كل الوعود التي قطعوها على أنفسهم للشريف حسين بن علي بإعطائه الإمارة على المشرق العربي مقابل ثورتهم ضد الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى(٥٩).

كانت لعبة المصالح واضحة في محادثات المفتي مع موسوليني، يقول المفتي في مذكراته: "بَسَطْتُ لموسوليني مطالب العرب الرئيسية وهي الاستقلال الكامل والسيادة التامة في جميع أقطارهم، وإنقاذ فلسطين من المؤامرة الاستعمارية اليهودية وإلغاء الوطن القومي اليهودي فيها. "إن مقاومتنا للوطن اليهودي لم تكن بحافز التعصب الديني، بل كانت دفاعاً عن كياننا وذوداً عن

(٥٧) مذكرات المفتي، مصدر سابق، ص.١١٢.
(٥٨) نبيل خالد الآغا، مصدر سابق، ص.٧٥-٧٦.
(٥٩) المصدر السابق.

بلادنا وإن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في بلاد العرب هي علاقات وثيقة بين مواطنين متحدين ومتعاونين"(٦٠).

أعجب موسوليني بالطريقة التي قدم فيها الحاج أمين نفسه، خاصة عندما شدد على العلاقات الودية بين المسلمين والمسيحيين في الأرض المقدسة، وحدثه بلسان كل العرب حيث ظهر ممثلاً للعرب كلهم. أجاب موسوليني على حديث المفتي قائلا: "أعلم الكثير عن أحوالكم، ولا سيما دينكم، وقد درست القرآن والتاريخ الإسلامي، وأعرف تسامح الدين الإسلامي. إننا نرغب أن يقوم التعاون بيننا وبينكم على أساس الإخلاص والثقة، لقد وصلتم في الوقت المناسب للاهتمام بمنطقة الشرق الأدنى التي اعتبرها أهم منطقة، وإني شديد الاغتباط بوصولكم وإقامتكم لدينا"(٦١).

يعتقد علي محافظة أن الاتصالات التي أجراها الحاج أمين مع ألمانيا تعود إلى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، وكانت هذه الاتصالات تهدف من المنظور الفلسطيني إلى التعرف على الموقف الألماني من قضية تقسيم فلسطين وقيام الدولة اليهودية على أنقاض شعب آخر(٦٢). اقتضت حنكة المفتي إرسال مبعوثه الخاص عثمان حداد لملاقاة المسؤولين الألمان قبل أن يقوم هو نفسه بمحاولة لقاء هتلر أو أي مسؤول ألماني رفيع. وقد حمل مبعوث المفتي مجموعة من المطالب قدمها إلى الساسة الألمان وتتلخص بما هو آت:

١. اعتراف ألمانيا وإيطاليا باستقلال الدول العربية الآسيوية.
٢. إعلان كل من ألمانيا والنمسا بعدم وجود أطماع استعمارية لهما في مصر والسودان.
٣. عدم اعتراض دول المحور على أي خطوة وحدوية عربية.
٤. معارضة دول المحور علنا قيام كيان يهودي في فلسطين(٦٣).

تبرز هذه النقاط التي تقدم بها مبعوث المفتي للساسة الألمان أن اهتمامات المفتي لم تكن فلسطينية قطرية ضيقه. وعلى الرغم من أن فلسطين بمقدساتها ومكانتها المعنوية والروحية العالية كانت شغله الشاغل، إلا أنه أظهر زعامة عربية قومية أبدت حساسية منقطعة النظير لفكرة استقلال البلدان العربية في المشرق العربي ووادي النيل(٦٤).

جاءت نتائج الحرب العالمية الثانية مخيبة لآمال المفتي ومفسدة لخططه ومشاريعه المستقبلية في فلسطين والعالم العربي. بعد انهيار ألمانيا في الحرب، غادرها المفتي إلى سويسرا

---

(٦٠) مذكرات المفتي، مصدر سابق، ص.٩٦.
(٦١) المصدر السابق، ص.٩٦.
(٦٢) علي محافظة، مصدر سابق، ص.٨٣.
(٦٣) عبد الرحمن عبد الغني، المانيا النازية وفلسطين، ١٩٣٣-١٩٤٥، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٥، ص.٣٢٤.
(٦٤) مذكرات المفتي، مصدر سابق، ص.١٠٩.

طامعا بالحصول على حق اللجوء السياسي، إلا انه لم يوفق هناك وغادرها متجها إلى باريس[٦٥]. مكث المفتي في فرنسا عاماً كاملاً تضاعفت خلاله الجهود اليهودية والاستعمارية لمحاكمته كمجرم حرب لأنه اجتمع مع هتلر وموسوليني ونسق معهما لوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، لذلك قرر مغادرة فرنسا إلى أية عاصمة عربية[٦٦]. يقول المفتي عن ملاحقة اليهود له:

"كان أعوان اليهود وعملائهم من نواب برلمانيين بريطانيين، لا سيما من حزب العمال الذي يحوي عدداً غير قليل من نواب اليهود وعملاء الصهيونية، ما انفكوا يثيرون هذه المسألة ضد وصولي إلى فرنسا، لتظل هذه المسألة حية وعالقة في أذهان ساسة بريطانيا والحلفاء" [٦٧].

وصل المفتي إلى القاهرة في ١٩٤٦/٥/٢٩ مستخدما جواز سفر الدكتور السوري معروف الدواليبي، ومن القاهرة بدأ المفتي مرحلة جديدة من النشاط السياسي والجهادي لإعادة الإعتبار لقضية الشعب الفلسطيني. ففي عام ١٩٤٦، تم تأسيس الهيئة العربية العليا بقرار من الجامعة العربية، وقد عين المفتي رئيساً لها حيث قامت الهيئة على إعداد الشعب الفلسطيني معنويا وعسكريا لإستكمال مشوار النضال ضد الإنجليز والصهاينة. قام المفتي بإعداد لجنة خاصة تضم قادة الثوار والمجاهدين الفلسطينيين والعرب السوريين والمصريين والعراقيين لوضع الخطط وتحديد كميات وأنواع الأسلحة والعتاد المطلوب إيصاله إلى فلسطين [٦٨].

يذكر المفتي أسباب اختياره للقاهرة لتكون محطته التالية بعد باريس: "كنا على اتصال ببعض إخواننا في القاهرة لنظل على صلة بالحوادث في تلك الظروف، لأن القاهرة كانت مركز الثقل في العالم العربي، وفيها جامعة الدول العربية، وأنها على صلة بفلسطين حيث يتوقع استئناف الصراع الدامي بين الفلسطينيين واليهود، كما أن الملك فاروق نفسه أبدى اهتماما وتشجيعا لوجودي في القاهرة"[٦٩].

على المستوى الدولي صدر في ١٩٤٧/١١/٢٩ قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية، فأعلن المفتي رفض القرار وأبدى استعدادا تاما للتوجه إلى فلسطين لمواصلة معركة الجهاد، إلا أن الجامعة العربية ضغطت عليه للبقاء في القاهرة من أجل المصلحة الوطنية الفلسطينية العامة حيث أن المفتي يمثل الوجه السياسي للشعب الفلسطيني[٧٠]. اعتبر المفتي قرار تقسيم فلسطين بأنه مشروع ظالم ومجحف بحق الفلسطينيين لأنه قام بتقسيم فلسطين وتهويد جغرافيتها بما يتناسب مع مصالح اليهود ويتلائم مع أهدافهم في

---

(٦٥) مجيد خدوري، مصدر سابق، ص.١٥٢.
(٦٦) نبيل خالد الآغا، مصدر سابق، ص.٧٩.
(٦٧) مذكرات المفتي، مصدر سابق، ص.٢٣٦.
(٦٨) نبيل خالد الآغا، مصدر سابق، ص.٧٩.
(٦٩) مذكرات المفتي، مصدر سابق، ص.٢٤٤.
(٧٠) نبيل خالد الآغا، مصدر سابق، ص.٧٩.

المنطقة.وخطورة قرار التقسيم أنه يذهب بالقسم الأكبر والأخصب من أراضي فلسطين لصالح اليهود، ويساهم بشكل مباشر في تمزيق فلسطين وتشتيت الشعب الفلسطيني(٧١).

لقد كان لقرار التقسيم تداعيات وآثار سياسية واقتصادية واستراتيجية على الوطن العربي ككل، ومن هذه التداعيات:

١. حرمان العرب من شطرهم من الساحل الشرقي للبحر المتوسط ومن منافعه وخيراته.
٢. جعل الدولة اليهودية قاعدة برية وبحرية وجوية تهدد الدول العربية.
٣. جعل الدولة اليهودية بؤرة للدسائس السياسية والأجنبية.
٤. مساعدة الصهيونية العالمية والرأسمالية اليهودية للتوسع في البلدان العربية المجاورة.
٥. جعل الأماكن المقدسة في فلسطين في خطر دائم.
٦. إنشاء رأس حربة يهودي مسلط على رقاب العرب، ويشكل إسفيناً يفصل بين أجزاء الوطن العربي والإسلامي(٧٢).

تيقن الحاج أمين أن اليهود أنفسهم لن يقبلوا قرار التقسيم في صميم قلوبهم، وسينتفضون ضده في أقرب فرصة لأن أعينهم تنظر إلى كل فلسطين(٧٣). فالفكرة الصهيونية قامت على أرضيات عقائدية توراتية لا تقبل الآخر، ولا تتعايش معه. لذلك يصبح مشروع التقسيم ومشروع الدولة الفيدرالية الواحدة التي تضم اليهود والعرب معا غير مجدية في هذا السياق(٧٤).

رفع الحاج أمين الحسيني شعارات عالية وعريضة ضد الدولة الفلسطينية المنوي إنشاؤها على جزء من ارض فلسطين التاريخية. وقد استند الحاج أمين على عدة تبريرات من وراء رفضه لهذا المشروع لأنه يتضمن وبصورة واضحة التنازل على ما يقارب ٨٠% من مساحة فلسطين، إضافة إلى امتصاص لقمة الفلسطينيين والعرب المسلمين، وصرف أنظارهم عن الجهاد كسبيل وحيد لتحرير فلسطين(٧٥). بنظرته الثاقبة وبصيرته اليقظة، اعتبر الحاج أمين هذا المشروع المجزوء خطراً على وحدة الفلسطينيين والعرب والمسلمين لأن الدولة الفلسطينية ستكون جسراً يستخدمه اليهود للوصول إلى العالم العربي، واستغلال ذلك سياسياً واقتصادياً

(٧١) مذكرات المفتي، مصدر سابق، ص.٣١٦.
(٧٢) المصدر السابق، ص.٣١٧.
(٧٣) عبد الوهاب الكيالي، وثائق المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨- ١٩٣٩، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٦٨، ص.٦٠٤-٦٠٩.
(٧٤) لمعرفة المشاريع الثلاثة المختلفة التي قدمتها لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين
Surendra Bhutani, The UN and the Arab-Israeli Conflict, New Delhi: the Academy press, 1977, P. 1-10.
(٧٥) مذكرات المفتي، مصدر سابق، ص.٣١٦-٣١٧.

وثقافياً وإعلامياً حتى تغدو إسرائيل مع الوقت جزءاً طبيعياً من المنطقة، ويعنى التطبيع معها عربياً وإسلامياً أحد مكونات استراتيجيتها في البقاء والسيطرة[٧٦].

خاتمة واستنتاجات

تبلورت دراسات النخبة والصفوة كجزء هام من المدرسة السلوكية في العلوم السلوكية والاجتماعية وقد تطورت دراسات النخبة في أوروبا وأمريكا مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية. وفي السياق الغربي، ازدادت الاهتمامات البحثية والأكاديمية بموضوع دراسة النخب السياسية وكيفية تأثيرها في صنع السياسة وتوجيه الاقتصاد وبيان قدرتها في التأثير على مجمل الأحداث والتطورات المجتمعية في الغرب. وأفرزت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية مسارات تحول جديدة في الدراسات الإنسانية والاجتماعية بما فيها العلوم السياسية والعلاقات الدولية والنظم السياسية المقارنة. ففي خضم الثورة السلوكية وما بعد السلوكية، بدأ تحول حقيقي وملموس في دراسة المؤسسة السياسية الغربية من خلال الرجوع إلى النخب وصناع القرار، بحيث تم دراسة مصالحهم وأدوارهم، وما يمتازون به من خصائص سلوكية وفكرية وحتى عاطفية وشهوانية.

في الجانب النظري، عند الحديث أو عند الكتابة عن منظومة فكرية مناسبة أو تناول إطار نظري ملائم للوضعية الفلسطينية، خاصة في ظل الظروف المأساوية التي مر بها الشعب الفلسطيني، سرعان ما يكتشف الباحث أن دراسة النخبة السياسية الفلسطينية من حيث خصوصيتها وطبيعتها وطريقة تشكيلها أصبحت هامة وحاسمة لأن النخبة هي التي تقود الحرب وتصنع السلام وتؤثر في المستقبل. كما أن العوامل الهامة والداخلة في عملية صنع النخب وتشكيلها في فلسطين تظهر الامتداد الطبيعي لهذه النخب مع مثيلاتها في العالم العربي سواء على الصعيد الرسمي أو غير الرسمي، فالتاريخ والجغرافيا والثقافة السياسية والبعد الحضاري ربطت فلسطين بالعالم العربي قلباً وجسداً وروحاً. لكن عند التعمق في دراسة الحالة الفلسطينية وتحليلها، سرعان ما يتكشف للجميع خصوصية واستثنائية النخب الفلسطينية النابعة أصلاً من استثنائية القضية الفلسطينية، ومن استثنائية الظروف المأساوية التي مر بها الشعب الفلسطيني خاصة بعد الحرب العالمية الأولى في ظل الانتداب البريطاني ولاحقا تحت الاحتلال الإسرائيلي.

عاصر الحاج أمين الحسيني مراحل مفصلية وتاريخية هامة لقضية الشعب الفلسطيني في أدق مرحلة مر بها وهي فترة الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٤٧. وهي مرحلة مأساوية لأنها مهدت الأرضيات لتقسيم فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل. من هنا تنبع أهمية الحديث عن قيادة ونخبوية الحاج أمين الذي قاد الحركة الوطنية الفلسطينية في ظل ظروف دولية معقدة ومحلية متشابكة لأن قيادته جمعت بين الشرف العائلي والمكانة الدينية والشخصية الوطنية التي تعدت حدود فلسطين ووصلت إلى آفاق عربية وعالمية. من خلال تتبع مذكرات المفتي والأدبيات العديدة التي تناولت شخصيته وسر رمزيته، تبين للباحث أن الحاج أمين كان في الكثير من المناسبات، وبخاصة في مرحلة ما بعد الخروج من فلسطين في عام ١٩٣٧، يتحدث بلسان

(٧٦) نبيل خالد الآغا، مصدر سابق، ص.٨٤.

عربي وإسلامي لتمثيل كل العرب وأغلبية المسلمين. وهذا ما ثبت دون أي شك في المحاولات والمداولات التي أجراها المفتي في إيطاليا وألمانيا حينما حاول جاهداً استصدار تصريح مكتوب من أدولف هتلر يعلن فيه الدعوة إلى استقلال البلدان العربية، وأن ألمانيا ليست لها أطماعا في منطقة الشرق الأوسط. لو قدر لألمانيا وإيطاليا أن تنتصر في الحرب العالمية الثانية لكان الحاج أمين أحد رموز نظام عالمي جديد يقوده هتلر وموسوليني، ولم تم ذلك لإنعكس على مجمل النظام الإقليمي العربي والشرق أوسطي.

في جوهرها حملت عقائدية الحاج أمين في سياق هذا البحث معاني ومضامين كثيرة منها التركيز على البعد الإسلامي لفلسطين لأنها أرض الإسراء والمعراج، وحاضنة للمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. لقد احتفظ الحاج أمين في علاقات وطيدة مع مسلمي العالم، وبخاصة مسلمي شبه القارة الهندية بسبب صدارة الهند للمسلمين من حيث المستوى العددي، ولعاطفتهم الدينية الجياشة واستعدادهم الشديد لدعم فلسطين سياسياً ومادياً وعسكرياً، ولأن المسلمين الهنود شكلوا جزءاً هاماً من الإدارة البريطانية في الهند وأن غضبهم كان بالإمكان أن يسبب متاعب للوجود البريطاني هناك.

أما الواقعية السياسية فتجلت في خطوات المفتي حيث بقي في مناصب عديدة كالإفتاء والمجلس الإسلامي الأعلى على الرغم من أن هذه المناصب كانت مرتبطة مع الإدارة البريطانية في فلسطين، إلا أنه كان دائما يراهن أن يكسب البريطانيين للصالح الفلسطيني، ولأن هذه المناصب الدينية تلعب دوراً محورياً في المحافظة على الهوية الثقافية والدينية لفلسطين. درس الحاج أمين العقلية البريطانية، وأدرك الأطماع والمصالح المتشعبة للإمبراطورية البريطانية في المنطقة، ولم يغب عن باله اللعبة التي لعبها البريطانيون مع فرنسا في المنطقة حينما اتفقوا على اقتسام المشرق العربي بموجب معاهدة سان ريمو في عام ١٩٢٠. كان دائما يرى أن البقاء في السياسة يعني توسيع دائرة الأصدقاء وتضييق دائرة الأعداء، وهذا ما دفعه لدعم دول المحور لأنه لم يكن لها تاريخ استعماري وإمبريالي مديد في المنطقة العربية، ولأن العرب راهنوا كثيراً على بريطانيا التي لم تحفظ وعودها وعهودها وفضلت أن تتبع سياسة فرق تسد، وأن تنحاز لمصالح اليهود، وأن تساهم بشكل مباشر في تقسيم فلسطين وفي تشتيت سكانها الأصليين.

في الوقت الذي كانت فيه هبة البراق في عام ١٩٢٩ مشتعلة ضد الإنجليز واليهود، لم يغفل الحاج أمين الاستثمار السياسي لهذه ألهبه قناعة منه أن الثورات والهبات المسلحة لا تكفي لتحرير الوطن وبخاصة أن بريطانيا كقوة انتداب كانت تمتلك الإمكانيات والطاقات الهائلة لقمع الثورات المتتالية. كان الحاج أمين ضمن الوفد الفلسطيني الذي زار لندن في نفس عام البراق من اجل فتح قنوات اتصال مع البريطانيين على أمل أن تكون هذه الخطوات الدبلوماسية والسياسية عامل هام ومساعد يدفع باتجاه التحرير. إن تردد الحاج أمين في قيادة ثورة مسلحة في عام ١٩٣٦ لتتزامن مع ثورة القسام في الشمال تعكس رؤية ثاقبة تنم عن درجة الاستعداد الفلسطيني ليس فقط لإشعال الثورة، وانما أيضا لمنحها روح الديمومة والاستمرارية ووصولها إلى الطريق المنشود. وما النهاية المأساوية لثورة عام ١٩٣٦ إنما تدل على صعوبة الوضع الفلسطيني في

تلك الفترة حيث امتزج غياب الاستعداد العسكري والسياسي مع بعض التجاوزات والخطوات الاعتباطية والارتجالية مما كان لذلك انعكاسات سلبية على مجرى الأحداث العام.

واما بخصوص علاقته مع ألمانيا وإيطاليا، فليس من المؤكد أن الحاج أمين قد فهم طبيعة توازن القوى الدولي بسياقاته النظرية والمفاهيمية، وتداعيات ذلك على العلاقة بين الأقطاب الرئيسية في النظام الدولي الذي ساد قبل الحرب وخلالها. لكن المؤكد أن الحاج أمين أدرك مبكرا أن قوة بريطانيا وفرنسا والحلفاء من ورائهما لا يمكن أن تجابه عسكريا واستراتيجيا إلا من قوة شبيه أخرى مثل ألمانيا لما تمتلكه من إمكانيات اقتصادية وتصنيعية ومعنويات شعبية عالية وقيادة صارمة ووطنية. من هنا يمكن القول أن علاقة الحاج أمين مع ألمانيا وإيطاليا هي مثل علاقة ياسر عرفات مع الاتحاد السوفيتي السابق حيث كانت قائمة على تبادلية المصالح، وليس على أساس التلاقي الأيديولوجي والدوغماتي.

بعد هذا التحليل والاستعراض، يستطيع الباحث أن يقدم النتائج التالية:

١. تدخل عدة عوامل ومتغيرات في صناعة النخبوية والقيادة في السياق الفلسطيني حيث يقف على رأسها البعد العائلي والعشائري، والاشتراك في النضال والكفاح ضد عدو خارجي، إضافة إلى القرب من المؤسسة الدينية والقدرات الشخصية والكارزماتية والمنزلة الاجتماعية.

٢. إن مستوى ومفهوم العقيدة الدينية في الفكر السياسي عند المفتي جاء لخدمة البعد السياسي، ولم يكن فكرا دينيا أصيلا، بمعنى أن المفتي لم يكن إسلاميا أصوليا أو إسلاميا متعصبا لفكرة إنشاء دولة إسلامية في فلسطين، وانما كانت علاقاته مع المسلمين وغير المسلمين لخدمة الهدف السياسي الأول، وهو التحرير من الانتداب البريطاني ومن العصابات الصهيونية.

٣. غلب المفتي في تفاعلاته السياسية البراغماتية على العقائدية وهذا واضح في اغلب علاقاته وتصريحاته وتحركاته سواءاً على صعيد المنطقة العربية أو على مستوى علاقاته مع ألمانيا وإيطاليا وباقي دول المحور. إن الواقعية السياسية تطلبت منه التحرك السريع لاستكشاف الدول والقوى العالمية القادرة على دعمه في جهوده لطرد البريطانيين واليهود.

٤. وصل الحاج أمين بالعقائدية والبراغماتية إلى مستويات عالمية عالية، وهذا نابع من عالمية القضية الفلسطينية خلال فترة الانتداب البريطاني. إن وقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني وظهور الأطماع اليهودية والمسألة الصهيونية قد حول القضية الفلسطينية إلى قضية استقطاب محلي وإقليمي ودولي. يستطيع الباحث بناء على ما سبق من عرض الأفكار وتحليل المواقف، أن يقدم التوصيات الآتية:

١. تطوير إطار نظري ومفاهيمي جديد يناسب النخبة السياسية الفلسطينية لكي يعكس الخصوصية الفلسطينية كحركة مقاومة وطنية وكشعب محتل.

٢. السعي نحو جهد أكاديمي وبحثي فلسطيني فاعل لتغطية النخب والقيادات الفلسطينية التي تركت أثراً في الحياة النضالية والسياسية في فلسطين.

٣. ضرورة تجميع كل الأدبيات بما فيها الكتب والدوريات والمصادر الأولية والمذكرات والمقابلات التي تخص الحاج أمين ووضعها في مكتبة وطنية حتى تكون مكاناً يسهل الوصول إليه للباحثين وطلبة الدراسات العليا.

٤. إعادة قراءة العلاقة بين الدين والسياسة في السياق الفلسطيني ضمن منهجية تاريخية واضحة من اجل فهم جدلية الدين في الواقعية السياسية، وانعكاسات ذلك على المسرح الفلسطيني خاصة في هذه الأيام بعد صعود حركة حماس إلى سدة الحكم في فلسطين.

٥. الحرص الشديد لإجراء دراسة نقدية شاملة تتناول قضية دور الدين والمعتقدات الأيديولوجية في صياغة نظرية معاصرة للعلاقات الدولية لا سيما في هذا الوقت الذي يشهد صعود حركات الإسلام السياسي، وتعاطيها مع الشأن العام ومفردات الحكم في البلدان العربية وعلى رأسها فلسطين.

٦. توخي الحيطة والحذر عند تبني سياسات واتخاذ قرارات من قبل القيادة الفلسطينية لاسيما في تعاطيها وتعاملها مع المحاور الدولية والإقليمية، وعدم وضع كل الأوراق الفلسطينية في سلة محور واحد وانما فتح آفاق تعاون مع كل المحاور الدولية والإقليمية لان ذلك يساعد في تحسين أداء الدبلوماسية لان ذلك حيث ستمتلك قدرة المنافسة والمساومة مع الأعداء والخصوم.

٧. أهمية التوحد الفصائلي والحزبي في فلسطين اليوم وراء برنامج سياسي واحد لان الخلافات العائلية والعشائرية في زمن الحاج أمين قد أثرت سلبا على الحركة الوطنية والنضالية الفلسطينية، وأيضا على الأداء السياسي والدبلوماسي للقيادة الفلسطينية خاصة في ظل بروز محاصصات عائلية وحزبية بين العائلات الكبيرة التي سكنت فلسطين، وبالتحديد في مدينة القدس الشريف بسبب الدور الهام الذي لعبته في تخريج أعداد كبيرة من القادة الوطنيين.

٨. التوسع اكثر في إدراك الفوارق بين العقائدية التقليدية والعقائدية الأصولية من أجل الوقوف على طبيعة العلاقة التي ربطت الحاج أمين مع الحركات الإسلامية في فترة الانتداب البريطاني وبخاصة الإخوان المسلمين.

٩. توجيه طلبة الماجستير والدكتوراه نحو هذا الحقل العلمي والمعرفي الهام من اجل كتابة أطروحاتهم في موضوع النخب والقيادات من خلال ربط ذلك مع الظروف الزمانية والمكانية للقضية الفلسطينية، ونشر الرسائل المتميزة في هذا المجال حتى تكون رافدا قويا لإثراء المكتبات الفلسطينية والعربية عموما.

الهوامش والمراجع

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية

- الآغا، نبيل خالد. (٢٠٠٢). وجوه فلسطينية خالدة. بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- بركات، حليم. (١٩٨٦). المجتمع العربي، بحث استطلاعي اجتماعي. بيروت. مركز دراسات الوحد العربية.
- جبارة، تيسير. (١٩٩٨). المسلمون الهنود وقضية فلسطين. عمان. دار الشروق للنشر والتوزيع.
- جبارة، تيسير. (١٩٧١). قضية فلسطين من خلال سيرة الحاج أمين الحسيني. نابلس. الجمعية العلمية الفلسطينية
- الجابري، محمد عابد. (١٩٩٣). إشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي، المستقبل العربي، ١٦٧. ٤-١٥
- حساسيان، مانويل (١٩٨٧). الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية. القدس. منشورات البيادر.
- حسين، حماد (٢٠٠٣). مجموعة وثائق تاريخ فلسطين السياسي والاقتصادي والتعليمي خلال فترة الانتداب البريطاني ١٩٣٩-١٩٥٩. جنين. المركز الفلسطيني للثقافة والإعلام.
- الحوت، بيان نويهض. (١٩٨١). القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨. ط ٢. عكا. دار الأسوار.
- حوراني، ألبرت. (١٩٩٧). الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩. ترجمة: كريم عزقول. بيروت. نوفل.
- خدوري، مجيد. (١٩٨٣). عرب معاصرون أدوار القادة في السياسة. بيروت. دار المتحدة للنشر.
- خضر، حسن. (٢٠٠٣). خصوصية نشوء وتكوين النخبة السياسية الفلسطينية . جامعة بير زيت. معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية.
- روبي، أنطونيو. (١٩٩٨). مع عرفات في فلسطين تاريخ العلاقات الفلسطينية-الإيطالية (ترجمة) مجير الأحمد. رام الله. وزارة الثقافة الفلسطينية.
- شبيب، سميح. (١٩٩٨). الأصول الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية الفلسطينية، ١٩٢٠-١٩٤٨. عكا. مؤسسة الأسوار.
- عبد الغني، عبد الرحمن. (١٩٩٥). ألمانيا النازية وفلسطين، ١٩٣٣-١٩٤٥. بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

- العمر، ع. (١٩٩٩). مذكرات الحاج محمد امين الحسيني. دمشق: الأهلي للطباعة والنشر والتوزيع.
- فلسطين تاريخها وقضيتها (١٩٨٣). مؤسسة الدراسات الفلسطينية. نيقوسيا، قبرص.
- الكيالي، عبد الوهاب. (١٩٦٨). وثائق المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨-١٩٣٩. بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- الكيالي، عبد الوهاب. (١٩٩٩). تاريخ فلسطين الحديث. بيروت. المؤسسة العربية.
- محافظة، علي. (٢٠٠٢). الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني ١٩١٨-١٩٤٨. بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- مراد، محمد. (١٩٩٦). النخب والسلطة في المشرق العربي المعاصر، دراسة في التشكيل البنائي الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع العربي. بيروت. معهد الإنماء العربي.
- الموسوعة الفلسطينية (١٩٨٤). مجلد رابع. ط١.
- هلال، جميل (٢٠٠٢). تكوين النخبة الفلسطينية منذ نشوء الحركة الوطنية الفلسطينية إلى ما بعد قيام السلطة. رام الله. مواطن.
- يوسف، أيمن (٢٠٠٥). مؤتمر ياسر عرفات، ذاكرة وطن وصيرورة شعب. جامعة الأقصى، غزة.

قائمة المصادر والمراجع باللغة الانجليزية

- Bhutani, S. (1977). The UN and the Arab-Israeli Conflict. New Delhi. The Academy press.
- Lasswell, H. (1995). Politics, Who Gets What, When, How. New York. Meridian Books.
- Mosca, G. (1939). The Ruling Class. New York. McGraw Hill.
- Pareto, V. (1979). The Rise and Fall of Elites. New York. Arno Press.

مواقع الإنترنت

- www.yahoo.com/political elites
- http://www.binoria.org/albineng/august 98/khilafat.html
- http://www.en.wikipedia.org/wiki/khilafat_movement
- http://Encarta.msn.com
- http://www.m_w.com